محاضرة 02:

أنواع الأسطورة

1ــ أنواع الأساطير:

يتّفق العديد من الدارسين على تقسيم الأساطير وفق الأنواع الآتية:

1_ **الأسطورة الطقوسية:** و يرى أحمد كمال زكي أن هذه الأسطورة ارتبطت أساسا بعمليات العبادة، مهما يكن شكلها، و طريقتها وعنيت برصد الجزء الكلامي من الطقوس قبل أن تصبح حكاية لهذه الطقوس . ويمتاز ذلك الجزء بقوى سحرية خفية ليتمكن منشده من أن يسترجع الموقف الذي يصفه. ونستطيع أن نقدّم نشيد " إينوما إيليش" الذي ينشده الكهنة مثالا لهذا النوع. وقد ارتبط النشيد أو الترنيم بطقوس جنائزية في عيد أوّل السنة عند البابليين حيث تتمثل كل ملامح أسطورة الخلق.

ويجعل بعض الباحثين لهذه الأسطورة الطقوسية نظيرا عند المصريين. ونقصد أساطير أوزيريس. وهي تسمى هكذا لأنها تصف الكون وعملية الخلق و حياة الإنسان. ويرى هوك أنّ التشابه كبير بين أسطورة الخليقة في حكايات المصريين و ملحمة الخلق الآكادية.

2_ **الأسطورة التعليلية:** لم تجد هذه الاسطورة طريقها إلى الوجود إلى بعد أن ظهرت فكرة وجود كائنات روحية خفية في مقابل ماهو كائن من الظواهر الطبيعية كالرعد وانفجار البركان و انشقاق الأرض عن الزرع، ويبدو أن طائفة من رجال الدين استطاعت أن توهم " الجماعة: بأنها على اتصال بهذه الكائنات اللاّشخصية فوُجد السحر، وكان في مبدئه إيمانا بقوى موجودة في بعض الأحجار النفيسة، أو التي تأخذ شكلا مثيرا، حيث يفسح المجال للقول بأن روحا تكمن فيها ويمكن استمالتها عن طريق تقديم القرابين و الأضاحي لها. وكان السحرة يدّعون لأنفسهم القدرة على إخضاع الآلهة. ممّا أوجد فيما بعد صراعا بين السحرة من حيث كونهم كهنة أو علماء و بين التفكير الشعبي الذي كان يحاول من ناحيته ـــــ وبدون الإستعانة بوسيط ـــــ أن يقدّم التعليلات لكلّ ما يراه مفزعا، أو مثيرا. و تمكّن التعليل الأسطوري من هنا أن يتحرّر من سيطرة الوسيط ويقول فيما يرى ما يشاء، من تفسير عمليات شروق الشمس و غروبها، وازدهار الأرض في الربيع، وثورة البحر.

3 ـــ الأسطورة الرمزية: و هي مرحلة اكثر تعقيدا من المراحل التي قطعتها اساطير الطقوس و التعليل، او لعلها أكثر قربا من الأسطورة التعليلية بوجه عام، لأنها تعبّر بطريقة مجازية عن فكرة دينية أو كونية، نفهم ذلك إذا قرأنا في الاساطير العربية أنّ " الغميصاء" أو" الغموص" كانت هي وسهيل و الشعرى في مجرة واحدة، فانحدر سهيل و الشعرى و

عبرا المجرا إلى اليمن، وبقيت الغميصاء وحيدة تبكي حزنا على فقدها سهيلا حتى غمصت عيناها، وكذا تبدو دائما في السماء أسيفة موجعة.

4 ـــ التاريخ المؤسطر: وهي تاريخ و خرافة معا، وتتضمن عناصر تاريخية و مجموعة خوارق تأخذ إطار الحكاية، وهذه الحكاية لأنها تتعلق بمكان واقعي أو بأشخاص حقيقيين ـــ تنقل بالتواتر من جيل إلى جيل ـــ ومنها في تراثنا حكاية " داحس و الغبراء " و في تراث الإغريق " حرب طروادة " و عند البابليين " ملحمة جلجامش" على أنّ هذه الانواع من الاساطير ليست محدودة تماما، فهي دائمة التداخل .

2 ــ أهمية دراسة الأساطير:

قد يعتقد بعض الناس أنّ الأساطير مجرد قصص تروى لا هدف من ورائها سوى التسلية و المتعة، ويخطيء هؤلاء إذ يأخذون الأساطير على أنّها خرافة فحسب، ليس فيها من الواقع أو الأهداف شيء سوى ما تضمّ من خيالات غريبة شاردة. فما كانت الأساطير شيئا من ذلك أبدا. وإلاّ لما استطاعت قطّ أن تكون هي العمد الخالدة التي قامت عليها أركان الأدب العالمي. ولما أصبحت هي الجذور التي تفرّعت منها الألوان المتباينة من الآداب و الفنون. فقد رافقت الأسطورة الإنسان منذ نشأته وما تزال ترافقه.

ومازالت هذه الأساطير تدرس حتى الآن لأنّ لها تأثيرا عميقا على جميع الآداب العظمى، و إنّه لحقيقي أن الاساطير الإغريقية و الرومانية قد أثرت تأثيرا عميقا، ولاسيما في الادبين الإنجليزي و الأمريكي. وقد أعجب كتاب اللغة الإنجليزية العظام بالقصص التي حكاها القدماء، وقلّما نستطيع فهم شكسبير أو ملتون أو كيتس دون أن نلمّ بالأساطير الإغريقية و الرومانية. وكذلك تلعب آلهة الأساطير و أنصاف آلهتها و أبطالها أدوارهم أيضا في الموسيقى. وهناك مؤلفات عديدة للعروض الموسيقية و الصوتية أوحت بها الشخصيات القديمة التي تروى قصصها في تلك الأساطير. وزيادة على ذلك فإن للأساطير تأثيرا قويّا على الفنون الأخرى فقد فعل عظماء المصوّرين، و النّحاتين في جميع العصور مثلما فعل الموسيقيون إذ وجدوا في هذه الأساطير القديمة إيحاءً لأجمل أعمالهم ثمّ إن هذه الأساطير حلقة اتّصال هامة بالماضي، وكثيرا ماتكون هي المصدر الوحيد لمعارفنا عن الكيفية التي نظر بها أسلافنا الأقدمون إلى العالم ، وكيف فسّروا ظواهره العديدة .

وعليه فإن قراءة التاريخ القديم دون الأسطورة، أمر غير تام، باحتسابنا الأسطورة السجل الأمثل للفكر وواقعه في مراحله الإبتدائية، عندما كان يحاول تفسير الوجود من حوله، ويحاول قراءة الواقع الاجتماعي و تغييره، هذا بالطبع مع ما تنقله لنا الأسطورة من بصمات و انطباعات النفس الجماعية، ونقول الجماعية لأن الأسطورة لا يمكن لأحد أن يدّعي حق تأليفها، فهي مجهولة الأصل و المؤلف ـــ بل و أحيانا ـــ المنشأ و التاريخ.